الفصل الخامس

القيم والثقافة :

تقوم العلوم الاجتماعية على حقيقتين أساسيتين : أحدهما ان الإنسان كائن اجتماعي واما الأخرى فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال او أنماط منتظمة وفي صورة على قدر كبير من الاطراد والتواتر إذ لولا هذا التواتر لما نشأت العلوم الاجتماعية وقد عنى الباحثون في العلوم الإنسانية والاجتماعية بدراسة هذا التواتر في السلوك الإنساني وفي الحياة الجمعية وقد استخدموا لذلك مفهومين ، ما زالا من المفاهيم الأساسية في الحقل الاجتماعي وهما الثقافة والمجتمع ، فالثقافة لا توجد الا بوجود المجتمع ثم ان المجتمع لا يقوم الا بالثقافة ، ان مفهوم الثقافة يشكل بحد ذاته إحدى الأفكار الكبرى التي ساعدت البشرية على تحقيق الكثير من جوانب التقدم والتطور الاجتماعي ، ويعزى ذلك بصفة خاصة إلى ما ينطوى عليه مفهوم الثقافة من عناصر داخلية منها . سمة العالمية بمعنى ان كل بني البشر لديهم ثقافتهم الخاصة . ولذلك فان الثقافة بصفة عامة تساعد على التمييز بين فرد واخر وبين جماعة واخرى ، وبين مجتمع واخر ، بل ان الثقافة هي التي تميز الجنس البشري من غيره من الأجناس لان الثقافة هي التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري فالمفهوم الثقافي يدل على السلوك الذي يمارسه الإنسان ويشمل على شعوره ومعتقداته وحياته داخل إطار مجتمعه ، وقد حاول كثير من العلماء الاجتماعيين والتربويين والنفسانيين منذ القرن الماضي الوصول إلى تعريف او تحديد لمفهوم الثقافة وما زالوا وهناك اليوم ما يزيد على مائة وخمسين تعريف للثقافة بعضها جامع وشامل وبعضها محدود . ولعل اقدم التعريفات للثقافة هــو تعريف ادوارد تايلور .E . B Tylor (الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات الفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات او العادات التي يكتسبها الإنسان عضواً في المجتمع .

وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر اللامادية (المعنوية) لحياة الناس في جماعة كالأخلاق والقانون والعرف والقيم ، إلى جانب العنصر المادي للثقافة علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة .

اما كلاكهون فقد عرف الثقافة بأنها وسائل الحياة المختلفة الي توصل اليها الانسان عبر التاريخ الظاهر والمتضمن العقلي واللاعقلي التي توجد في وقت معين والتي ترشد وتوجه سلوك الأفراد في المجتمع .

ولعل من ابسط تعريفات الثقافة واكثرها وضوحا تعريف روبرت برستد الذي ظهر في اوائل الستينات أذ عرفها بقوله (ان الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتالف من كل ما نفكر فيه ، او نقوم بعمله، او نتملكه كأعضاء في المجتمع) .

يظهر هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي .

أما تعريف الدمرداش : فقد عرفها:(ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات، والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك ، وكل ما ينبني عليه من تجديدات او ابتكارات او وسائل في حياة الناس

مما ينشأ في ظله كل عضو من اعضاء الجماعة او مما ينحدر الينا من الماضي فنأخذ به كما هو او نطوره في ضوء ظروف حياتنا الراهنة) .

وقد عرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في إعلان مكسيكو (يوليو/١٩٨٢) حيث ينص التعريف (ان الثقافة بمعناها الواسع يمكن ان ينظر اليها على انها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه او فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان او نظم القيم والتقاليد والمعتقدات) .

ويفسر الاعلان بعد ذلك الثقافة تفسيراً اجرائياً فيقول :(ان الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته ، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة من العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي ،وعن طريقها – عن طريق الثقافة– نهتدي إلى القيم ، ونمارس الاختيار ، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه ، والتعرف على ذاته مشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها .

ومن خلال تعدد وتنوع تعريفات الثقافة يمكن حصر هذه الأنواع في اتجاهين واضحين : احدهما الثقافة على إنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيديولوجيات وغيرها من المنتجات الفعلية اما الاتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما والعلاقات التي تربط بين أفراده هؤلاء الأفراد في حياتهم . ولمعرفة أي التعاريف اصح واشمل للثقافة كان لابد ان نميز بين ثلاث مصطلحات هي : التميزات الثقافية ، والعلاقات الاجتماعية وانماط الحياة فالتميز الثقافي (culturalbias) يشير إلى القيم والمعتقدات المشتركة أو العلاقات الاجتماعية (socialrelations) تعرف بانها انماط العلاقات الشخصية بين الأفراد اما عندما ترمز إلى تركيبة حية من العلاقات الاجتماعية والتميز الثقافي فنحن نرمز إلى نمط الحياة.(way of life) (.Beudict,1934) وان استمرار نمط الحياة يعتمد على وجود علاقة تساندية متبادلة بين تميز ثقافي

معين ونمط محدود للعلاقات الاجتماعية . واي تغير في طريقة إدراك الفرد للطبيعة المادية والإنسانية على سبيل المثال يؤدي إلى تغيير في مدى السلوك الذي يستطيع الفرد تبرير عيشه فيها ، ان القيم المشتركة والمعتقدات لا تتلاقى بشكل عشوائي وانما هي دائما مرتبطة بالعلاقات الاجتماعية التي تساعد في إضفاء الشرعية عليها . واذا ما أراد الأفراد صياغة نمط حياة لأنفسهم ان يتفاوضوا حول مجموعة القيم والمعتقدات . القادرة على دعم هذا النمط ، وهدفنا هو بيان انه عبر نطاق واسع من الظواهر سواء كانت طريقة توجيه اللوم ام تفسير اللامبالاة او إدراك المخاطرة تفرز العلاقات الاجتماعية تفضيلات ومدركات معينة تحتفظ بدورها تلك العلاقات . ان طبيعة الثقافة من حيث كونها ربانية او بشرية ، لها اثر فاعل وحاسم في نوعية القيم والمعايير التي تشكل منها تلك الثقافة ، وهي بالنتيجة ذات اثر حاسم في أنماط السلوك التي درج عليها الأفراد ، وإذا كانت التربية تعني من بين ما تعنيه اقتباس المعارف من كنوز الثقافة بغية النجاح في الحياة ثم العيش بانسجام مع كياننا(مسعود ، ١٩٩٩: ٥٣) ويتصل بدراسة علم الانسان والتربية ثلاثة جوانب تتصل بالعلاقة بين القيم والثقافة بوجه خاص ، واحدها هو التباين بين القيم والثقافة وممارستها الفعلية أي التباين بين الجانب المثالي والواقعي في الثقافة ، والثاني : هو الصراع بين القيم التي تولدت عن التغيير والثالث : هو عدم الاتساق بين القيم الثقافية السائدة وقيم الأقليات في الثقافة الواحدة (نيلر، د،ت: ١٣١) . والقيم تدخل في نطاق الثقافة وتستمد منها ، فما هي الا انعكاس لطرق تفكير الأفراد في ثقافة معينة ، وفي حقبة زمنية معينة ،وكما يقول(بنجستون) انها تنتج من تحديد الثقافة للمفاهيم المرغوبة فيها(عبد اللطيف، ١٩٩٢: ٥١) .

وتقوم القيم بحماية المجتمعات من التغيرات (الطارئة) من خلال تحديدها لاختياراته الصائبة لكونها تقوم بربط ثقافته ببعضها فتظهرها بشكل متناسق (أبو العينين،١٩٨٨: ٤٤) وتعمل الثقافة من خلال كائنات إنسانية وهم بدورهم ومن خلال سلوكهم المنظم ، يحاولون خلق النظام الاجتماعي ، فالأسرة والمدرسة ومؤسسات التنشئة الاخرى تحاول ان تعلم الأطفال الاعتقادات الرئيسة والاقتراحات

الرئيسة النابعة من الدين والقانون والقيم والتقاليد حتى يتعلم الطفل ان يكون سلوكه مقبولا ممن حوله(محمد وآخرون،١٩٨٥: ٣١١).

ان الثقافة تعني كل أساليب الحياة التي قام بها ويقوم بها الإنسان ويتعلمها ويعلمها وينقلها إلى الأجيال المختلفة ويشترك فيها مع غيره من أعضاء الثقافة وهي تشمل على كل أنماط السلوك والعادات والتقاليد والأفكار والمعتقدات والقيم والمثل العليا والمحرمات وجميع الأساليب الثقافية ، واللغة وكل أساليب الاتصال والفنون والآداب والأشياء المادية الناتجة عنها ويرجع تعقد الثقافة إلى تراكم التراث الثقافي وتداخل الأنماط الثقافية التي تدخل في تكوين الثقافة في المجتمع ، وكل نمط ثقافي يتكون من عدد كبير من العناصر الثقافية (الفقي، ١٩٧٧: ٧) .

ومن الطبيعي ان تشكل منظومة قيم الأفراد من منظومة اكبر هي (منظومة القيم المجتمعية **) تلك التي تتكون من مصادر التفكير العليا في المجتمع الدين القانون الفلسفة ، العرف ... وغيرها .**

تشكل القيم أحد أهم مشتملات الثقافة لاي شعب من الشعوب كما هو موضح فـي المخطط (٢) :

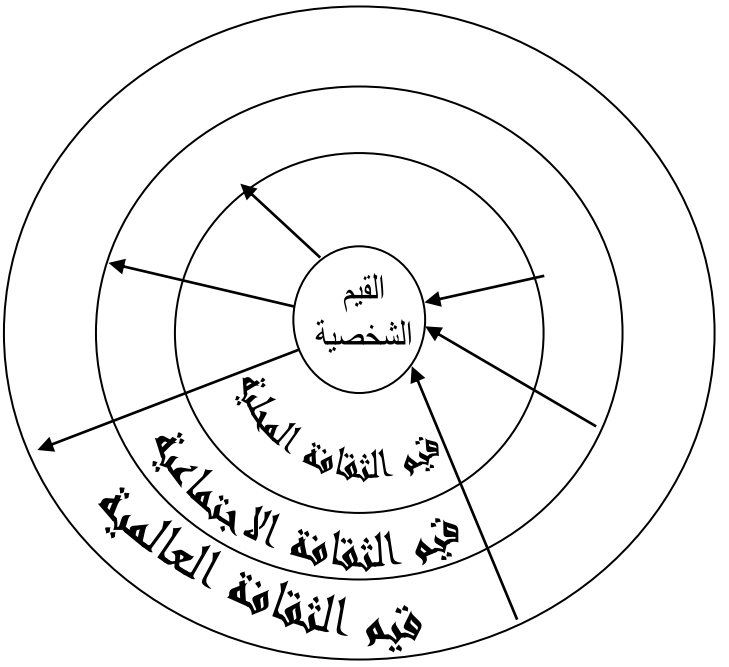

مخطط (٢)

ومجمل القول ان منظومة قيم الفرد تتكون في إطار الخبرات التي يتعلمها ومن خلال خبراته تنبثق القيم موجهات عامة لسلوكه وتصبح تلك القيم تعبيرا عن الكينونة او الهوية لكل فرد كذلك فان منظومة القيم المجتمعية هي تلك القيم التي تسود الثقافة وتستمد من مصادر التفكير العليا في المجتمع وتصبح محل احترام وتقدير الأفراد كافة وتصبح هي الأخرى جزءاً أساسياً في تكوين ما يسمى (الشخصية الاجتماعية) او (الشخصية القومية)(حسان وآخرون، ٢٠٠٠: ٢٥٢) ان الثقافة والمجتمع والشخصية هي المصدر الرئيس للقيم كمعتقدات وان الاتجاهات وأنماط السلوك هم النتيجة المترتبة على تبني القيم اذن القيم بوصفها موجهات نحو الحياة كامنة خلف الاتجاهات وانماط السلوك وهي مرتبطة بالخبرات التي تعيشها في هذه الحياة تلك الخبرات تماما كما هي مصدر والقيم أيضا العامل الرئيس فيما يطرأ على نسق القيم الشخصية والمجتمعة من تغيرات (محمد وآخرون، ١٩٨٥: ٣٥٤) وتبدو أهمية القيم على بكونها اهم عناصر الثقافة بسبب الدور الذي تؤديه في تمايز المجتمعات بعضها عن البعض الآخر ، ولكي تفهم طبيعة أي مجتمع والعلاقات السائدة بين أفراده ينبغي ان تحدد الاتجاهات القيمية السائدة فيه عن طريق دراستنا لمواقفه وحلول المشكلات الأساسية التي تواجهه .

والقيم الأساسية في الثقافة تشكل ضمير الجماعة ومصدر الالتزام في المجتمع أي انها مصدر الأمر والنهي بالنسبة للواجبات والمخرجات الثقافية ، وهي تعبر عن نقاط الالتقاء بين ضمائر أعضاء الجماعة ، وان ضمير الفرد يتكون من الطفولة الأولى نتيجة الالتزام بالأوامر الصادرة للفرد من السلطة الضابطة الخارجية (الوالدان ، المدرسون وغيرهم) التي تمثل ثقافة المجتمع وبالتدريج يتعلم الطفل ويصبح قادرا على القيام بالسلوك المرغوب فيه في المواقف المختلفة (إسماعيل ، ١٩٨٢: ٤٢) وتتأثر القيم بالبيئة الثقافية للفرد بحيث تختلف قيمة باختلاف بنية المجتمع الثقافية (هنا، ١٩٦٦: ٦٠٢) وهذا يظهر دور القيم على مستوى الجماعة اذ انها تساهم في تنظيم النشاط الاجتماعي للمجتمع من خلال موقعها الجوهري في صميم الثقافة المجتمعية (**Schaeller,1992,92**) ان قيم الثقافة هي مثالياتها التي تستحق الكفاح من اجلها ، بعضها محددة مثل قيمة الأمانة وبعضها الآخر يشق تحديده مثل إيماننا في القيمة العليا للفرد وبعضها مثل الوطنية دائما على شفاه الناس بينما بعض منها مثل إمكان قياس الواقع ، نادرا ما يعترف بها(نيلر،د،ت: ١٢٩) وبما ان الثقافة تضم المعتقدات الدينية وأيدلوجيته الاجتماعية ، فان التمايز في التركيب الاجتماعي يؤدي إلى تمايز في القيم لدى المجتمعات المختلفة في الأزمنة والأمكنة المختلفة ولذلك فان القيم تترك بصمات واضحة على مجموعة السلوكيات والتصرفات لدى الأفراد ، ويؤدي إلى الاختلاف في مستوى الإدراك والتفكير والنظرة إلى الأمور لدى أفراد المجتمع الواحد إلى اختلاف في القيم داخل هذا وعلى الرغم من هذا التباين والتمايز الا انها تحتل مكانة مرموقة بين العوامل الضرورية في توجيه سلوك الأفراد وتنظيمها(الديوي، ١٩٩٦: ٦٧).

ولذلك فان القيم تعد منظمات اجتماعية . للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين أعضاء الجماعات بعضهم مع البعض الآخر وبين المؤسسات المختلفة وهي جميعا ما يحرص المجتمع على ان يتمثله أبناؤه ، وهم يتشكلون ليصبحوا أعضاء فيه(عثمان ، ١٩٨٦: ١٥٧) .

ويرى بعض الباحثين ان القيم هي القواعد والأسس التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستعيدوا آمالهم ويواجهوا تصرفاتهم (خوري، ١٩٨٣: ٨٧).

بينما يرى بركات: ان القيم هي مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية واي خروج عليها او انحراف عنها ، يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا (أحمد،١٩٨٣: ٤) وهناك من الباحثين من يعتقد بان القيم هي (معتقدات بخصوص ما هو حسن او سيئ وما هو مهم او غير مهم وهذه القيم تولد الاتجاهات التي تحدد السلوك) (فرانسيس، ١٩٩٥: ٣٧).

ويصفها زاهر محصلة تفاعل معينة وأنها محدد أساسي من المحددات الثقافية للمجتمع (زاهر، ١٩٨٤: ١٢) هناك علاقة ما بين الثقافة والقيم وهي علاقة متبادلة وقوية لا تقبل الانفصام ، فالقيم التربوية لا بد لها من جذور تستمد منها قوام حياتها وتصورها العام الذي هو مبرر وجودها بالعلاقة ما بين التربية والثقافة والقيم علاقة متبادلة أحدها يؤثر في الآخر فبدون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها وبدون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة (العاجز وآخرون ، ١٩٩٩: ١٩).

وتعد الأسرة من أهم الجماعات الاجتماعية الأولية التي تتولى غرس قيم الثقافة العامة للمجتمع ككل وفي الوقت نفسه غرس القيم التي تعتنقها الأسرة ذاتها وقيم الأسرة تتضمن كل أساليب الحياة والتفكير . وفي كل أسرة مجموعة من أشكال السلوك والاتجاهات المقبولة اجتماعيا تدور حول محاور كالدين والجنس والإنتاج وتكوين الأسرة وتربية الأطفال ومناشط العلاقات الاجتماعية فالفرد يولد وهو خلو من المعايير التي تحدد تعامله مع المواقف والأشياء والأشخاص ومن الأهداف التي تنتظم عليها محاور حياته بعد ذلك ، ثم تتولى الأسرة رسم توجيهاته في الحياة من خلال ما تمثله الثقافة قيما لها(زاهر،١٩٨٤ : ٦٢-٦٣) .

وان ما تقوم به الثقافة من تأثير في توجيه وأحيانا في تشويه الإدراك الحسي بالعالم الخارجي قد أثبتت التجارب ان الإيحاء الاجتماعي يؤدي دورا هاما

في تكوين الإطارات المرجعية للإحساس ، اذ يمكن جعل الثقافة غمامة او مجموعة عدسات من خلالها يرى الإنسان بيئته الخارجية (وصفي، ١٩٨١: ١٢٨) .

ومما لا شك فيه ان لكل فرد من أفراد المجتمع نظامه او طريقه القيمي الخاص به الذي يتضمن أولويات القيمة ضمن إطار أهميتها بالنسبة التي يقرها الفرد للقيم مثل قيم الإيمان والأمانة والمساواة والعدالة والحرية والخصوصية والمسؤولية وما إلى ذلك ان لقيم الإنسان اثر على سلوكه فاثر السلطة التي تشتمل عليها القيم لا تقل عن اثر السلطة التي تشمل عليها الحقائق العلمية(فينكس، ١٩٦٥: ١٠) .

ويتضح لنا ان القيم جزء أساسي من مكونات ثقافة المجتمع ، وهي الوجه البارز لهذه الثقافة ، وأي فكر مهما كان علميا وتقدميا لا يستطيع الارتقاء بالأمة ما لم يكن مرتبطا بمنظومة قيم ، تتمتع بإيجابياتها ونفعيتها ، بشكل يجعلها حاضرة وضابطة للسلوك الاجتماعي المنتظم والفعال (قمر، ١٩٩٢: ٧٩) ويتجسد البعد الثقافي للقيم من خلال انها " تعمل على ربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض ، فتربط العناصر المتعددة والنظم ، حتى تبدو متناسقة وأنها تعمل على إعطاء هذه النظم أساساً عقليا يستقر في ذهن أعضاء المجتمع" (غيث، ١٩٦٣: ٩٣) .

ان التحليل الأنثروبولوجي * للثقافة يتمحور حول التنظيم المؤسسي للجماعة والمؤسسة وظيفة او جملة وظائف من حيث الفعل الثقافي ويدل على الفعالية التي تلبي حاجات الإنسان وعمله ويميز ميندكوفسكي في التنظيمات المؤسسية بين أربع زمر كبرى هي عنده بمثابة أطر عامة تخطيطية او كليات أنثروبولوجية هي الأبعاد الأربعة لمفهوم الثقافة الأنثروبولوجية : الأدوات المنزلية الثروات المعبرة للاستهلاك الاتفاقات الناظمة العضوية على حد تعبيره لعمل الجماعات المتواجدة مع بعضها الأفكار والقيم والمعتقدات والعادات واللغة والمورثات الشفوي والكتابي ويتوصل إلى ان الثقافة هي جهاز ذي ثلاثة اوجه ، مادي ، إنساني ، روحي يمكن للإنسان من مواجهة المشكلات العينية التي تعرض

* الأنثروبولوجي: علم الإنسان

له بوصفه جسدا هو عبد حاجاته العضوية ، او يمكن من ان يعيش في محيط هو في الوقت ذاته حليفة طالما انه يوفر له المواد اللازمة لعمله،وعدوه الآلي بما انه يصبح بالقوى المعادية (بروكيلات، ١٩٦٨: ٣٨)

وهناك تياران يوضحان العلاقة بين الثقافة والقيم والتيار الأول هو التنازل عن القيم القائمة والتيار الأخر هو اتخاذ موقف الجمود والتقوقع والتحجر وعدم السماح للقيم التي يأخذ بها المرء او المجتمع نفسيهما وكلا التيارين خطير وضار بالكيان الثقافي للمرء والأمة على السواء ، ذلك لان الحياة الثقافية بحاجة إلى النمو والتدرج والاستمرار . وهذا يتطلب جميعا عدم القفز من حالة إلى أخرى فجأة ، وأيضا عدم التحجر والتقوقع والجمود على حال واحدة فالثقافة في تطورها تشبه الكائن الحي الذي يتصل ماضيه بحاضره ، ويتصل حاضره بمستقبله ، فإذا انخلع الكائن الحي عن ماضيه بازاء الحاضر ، او اذا انخلع عن الحاضر في تقدمه إلى المستقبل فانه يكون بذلك قد فقد قواما جوهريا من قواماته .

واذا حاولنا البحث عن المصادر التي يكسب منها الفرد قيمة لوجدنا ان الفرد يكسب قيمة من عضويته في الجماعة التي يعيش فيها ، فمن خلال تفاعله في جماعته يمتص القيم السائدة في تلك الجماعة ويجب ملاحظة ان القيمة ليست مجرد رغبة او تفضيل ، وانما هي مركب يجمع الأمور المرغوبة لدى الفرد ومقاييس ما يجب ان يكون كما تحددها الثقافة . والقيم لها مقومات الحياة الاجتماعية وبدونها تصبح مستحيلة ، فبدون القيم لا يستطيع النسق الاجتماعي تأدية وظائفه في تحقيق أهداف الجماعة ، ولا يمكن ان تستمر الحياة الاجتماعية بدون معايير في داخل الفرد ومعايير يوافق عليها بصورة ما ، الأفراد الذين يعيشون معا ويعملون معا في داخل الجماعة وبدون تلك المعايير أي القيم لن يكون هناك أمان شخصي بالنسبة للفرد ولا تنظيم اجتماعي بالنسبة للجماعة وانما ستعم الفوضى والإهمال وعدم تقدير المسؤولية ويسود السلوك الفطري الخالص . وبعبارة أخرى سينهار الفرد وتتفكك شخصيته وينهار التنظيم الاجتماعي للجماعة ، بدون قيم لا يستطيع الأفراد الحصول على ما يريدون وما يحتاجون إليه من الأفراد

الآخرين فيما يتعلق بالأمور الشخصية والعاطفية وبالتالي لن يشعروا في داخل ذاتهم بأي قدر من النظام ويختفي الشعور بوجود أهداف موحدة ، فضلا عن ذلك تضيف القيم القدرة على التنبؤ عن طريق توقع استجابات معينة ، وهكذا بدون القيم يعيش الناس في عالم (مشوه متقلب الأوضاع يختفي منه النظام في داخل الجماعة وفي داخل الفرد ، وبدون القيم لا يمكن ان تتكامل شخصية او تنظم جماعة **)(وصفي، ١٩٨١: ١٨٤).**

القيم والتربية :

ينبثق ارتباط القيم بالتربية من خلال أهمية القيم في صياغة الأهداف التربوية المبنية على فلسفة التربية والتي تنبثق أصلا عن فلسفة المجتمع وتأتى أهمية القيم في تعبيرها عن فلسفة مجتمع ما وإطار حياته وتوجيهه للتربية وفلسفتها وأهدافها التي تعتمد في بلورتها وصياغتها على وضوح القيم ، لاختيار نوع المعارف والمهارات وتعيين الأنماط السلوكية المرغوبة (أبو العينين، ١٩٨٨: ٣٦) ويمكن تفسير العلاقة الوثيقة ما بين القيم والتربية تعد التربية عملية قيمية ، تعبر عن أهدافها بطريقة صريحة او ضمنية في حدود الإطار الثقافي الذي تعيش فيه ومن خلاله تسعى إلى بناء القيم في المجالات الخلقية والنفسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية (أحمد،١٩٨٣ :٣٢).

ولتضمين القيم في الجوانب المختلفة للتربية لابد من اتخاذ استراتيجية ترتكز على منظومة قيمية ، تصل إلى الناشئة عبر قنوات مبرمجة من خلال العملية التربوية ولتفعيل هذه المنظومة فمن الضروري الاهتمام بدراسة القيم ، بطريقة علمية موضوعية مسايرة للتغير الثقافي والتكنولوجي والثورة العلمية التي تستدعي النظر في تشكيل معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة ، لتصويب تصورا تنا عن ذاتنا والعالم المحيط بنا نظرا لتدهور وعدم الاستقرار في القيم والمكتسبة لدى افراد المجتمع ولا سيما الشباب الذين فقدوا القدرة على الاختيار والابتعاد عن تلك القيم وهذا ما يدفعهم إلى التمرد والضياع والاغتراب (زاهر، ١٩٨٤: ٧).

وقد عد بعض فلاسفة التربية القيم مصدرا أساسيا لأهداف التربية ، اذ ان هناك علاقة ضرورية بين القيم وأهداف التربية ، لان أية أهداف تربوية ، ما هي الا تعبير عن أحكام قيميه سواء أكان هذا التعبير عن وعي ام عن غير وعي (محمد ، ١٩٨٩: ١١) .

والقيم هي موجهات للسلوك ، فالقيم تملي على أفراد المجتمع اختياراتهم السلوكية وان لكل مجتمع له قيمه الخاصة سواء أكان هذا المجتمع قرية ام مدينة ام مصنعا ام مدرسة ، مسجدا ام مجتمع أمة في بعدها القومي ، والقيم تملي الاختيار السلوكي ... ووظيفة القيم في توجيه السلوك تجعلنا نتحرى الدوافع ونتقصى الأحوال والظروف البيئية والمجتمعية .

والقيم لن تكون قيما الا اذا وصلت إلى مستوى العقيدة وهذا هو الفرق بين القيم والاتجاه ، لان القيمة معتقد يتصف بثباته ورسوخه وليس كالرغبة او الاتجاه مجرد حاجة عرضية في ظرف معين ، ويحل مكانه اتجاه آخر او رغبة أخرى اما المعتقدات فهي الضمير الحي الباقي لجوهر الإنسان (إحسان وآخرون، ١٩٨٩ : ٢٥٤) اما التربية فهي اللبنة الأساسية التي تنطلق منها المبادئ القيمية سواء أكانت تربية مقصودة ام غير مقصودة في الاتجاهين الرسمي غير رسمي ، إذ تعمل على بناء قيم تربوية ذات ركائز صلبة ويؤكد التربويين على دور التربية في

بناء الحضارة الإنسانية التي تستلزم إعادة بناء الإنسان بناءً تمثل القيم الخلقية صلبه وجوهره ، عن طريق التربية التي يجب ان تعمل على بعث القيم في النظام بمراحله وأشكاله المختلفة داخل المدرسة وخارجها وعدها جزءا لا يتجزأ من الأهداف والمناهج وطرائق التدريس (عبد الدايم ،١٩٨٨: ٥٧) .

ويؤكد لطفي على دور المؤسسات التعليمية والتربوية في بناء القيم وترجمتها إلى دلالا ت سلوكية ، لاعتبارات مختلفة تتعلق بطبيعة هذه القيم وتغلغلها في البناء الاجتماعي والجماعة ومن أهمها :

- ان التربية في ذاتها عملية قيمية ، وان بناء القيم ليست مسؤولية المؤسسة التعليمية لوحدها .

- ان بناء القيم وثيق الصلة بأساسيات الوجود الإنساني .

- ان بناء القيم يتطلب الثنائيات في هذا البناء من عالم المثل وعالم الواقع وبين الأنانية والغيرية ، للحد من اغتراب الإنسان عن إطاره الثقافي .

- ان بناء القيم يجب ان يستمد مقومات بنائه من المصادر السماوية ، بوصفها جزء لا يتجزأ من حياة البشر ، ويجب ان يحتوي البناء الجوانب المادية والمعنوية في الحياة (أحمد ، ١٩٨٣ : ٣٣).

ويتضح لنا ان تحقيق غايات التربية وأهدافها لا يتم الا باتباع الوسائل السليمة والتي تشمل جميع جوانب النظام التربوي بما فيه لترسيخ القيم والعادات والعرف الاجتماعي والتربوي المستمد من ثقافة المجتمع وحضارته . ولذلك يعتقد عبد الغفار **(ان تربية الإنسان ليست مجرد تزويده بكم من المعرفة ، سواء كانت كثيرة ام قليلة ، ولكنها بالدرجة الأولى نسق من القيم يسهم في تشكيل الضمير او الوازع الداخلي الذي يضبط سلوكه وبالتالي فالمعرفة النظرية لابد ان تقترن بالممارسة والعمل وان تترجم إلى سلوك وقيم)**(عبد الغفار، ١٩٩٤: ١٧٩).

وعلى الرغم من اختلاف التربويين في كثير من النواحي الا ان جميعهم يؤكدون على بعض القيم مثل أهمية سلطة البالغ والاحتياج للنظام وقيمة المعرفة والنجاح التربوي وتظهر القيم الثقافية في منهج المدرسة أيضا اذ تقدم الدراسات الوطنية قيم الديمقراطية المفتوحة والحركة الجماعية وإمكانية تحسين مصير الإنسان وكذلك تحوي الأنشطة والنظام المدرسي القيم المقبولة السائدة اذ يتعلم الطفل أثناء الدرس المواظبة والكتابة وأسلوب الإصغاء إلى المعلم ويتعلم كيف يسأل ويكتسب الولاء للمدرسة والتضامن مع رفاقه الطلبة(penelope.L.1984,196-197) الا ان معرفته بهذه القيم لا يعني اكتسابه لها حتى تصبح قيمه الخاصة اذ تتدخل عوامل أخرى في الأمر مثل معايير مجموعة الرفاق وعدم تفضيل بعض المدرسين وربما عدم تحمس أبويه للتربية (Frederick,1985,50-60) .وان الصراع بين القيم التقليدية والقيم الجديدة في الاختلاف بين الهدف وبين الاثر الفعلي للتدريس وبين تأثير مدرس وربما يضن ان لديه أثرا والأثر الذي يحدثه فعلاً من رأي (سبندلر) ان التربويين يميلون عموماُ إلى ان يكونوا اقل تقليدية عن العامة من ناحية القيم (Geoegy,1981,50).

وتفيد كلمة التربية لغة : التنمية ، يقال تارة رباه أي نماه ، ربى فلانا أي غذاه ونشأه ، ربى بمعنى نمى قواه الجسدية والخلقية وتربى تنشا وتغذى وتثقف (المعجم الوسيط ، مادة ربى) .

ويعرف النجيحي التربية بأنها **(عملية إعداد المواطن الذي يستطيع التكيف مع المجتمع الذي ينشا فيه ، ولذلك فهي تعمل على تشكيل الشخصية الإنسانية في أدوار المطاوعة الأولى تشكيلا يقوم على أساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية)**(النجيحي، ١٩٨١: ١٢١).

ولهذا كان لابد للإطار الثقافي الذي يقوم عليه المجتمع من ان يحدد أبعاد العملية التربوية ، واتجاهاتها ، بحيث لا تخرج عن هذا الإطار الا تطويرا له وتقدما به في عملية زيادة أخذه بيد المجتمع نحو مستقبل افضل .

وعلى هذا الأساس تحتل القيم مركزا أساسيا في توجيه العملية التربوية وفي هذا المجال لا تعمل التربية على المحافظة على التراث الثقافي ونقله من جيل إلى جيل بما في ذلك القيم الأخلاقية وحسب ، وانما تعمل على تطوير هذا الواقع الثقافي مقتربه بذلك بقدر مما تستطيع ما وضعته أمامها من تصور لما ينبغي ان يكون (النجيحي، ١٩٨١: ١٢١) .

وتهدف التربية إلى غرض سام ، و هوان تبلغ بالإنسان حد الكمال المناسب له (البياتي،١٩٩٠: ٢٠) والتربية الصالحة هي الأداة لإعداد الفرد والمجتمع لتقبل التنمية الاقتصادية والمساهمة فيها بفاعلية ، فهي فضلا عن أنها جزء من التنمية الاجتماعية أداة لهذه التنمية ولكل تنمية أخرى ، سواء أكانت تنمية اقتصادية ام ثقافية او روحية او سياسية و قد عرفت التربية بأنها (تنمية الإنسان في أبعاده الستة الروحي (البيولوجي العقلي والمعرفي والانفعالي العاطفي ، والسلوكي والأخلاقي والاجتماعي) في إطار بعد مركزي هو الإيمان بالله وبوحدانيته ، للوصول بالإنسان نحو الكمال ، من مجتمع متضامن قائم على قيم ثابتة (الشيباني، ١٩٨٥: ١٨٦) .

والقيم هي التي توجه العملية التربوية كاملة ، وهي في الوقت نفسه بحاجة إلى وسائل وأساليب ومعلمين ونظام ، أي انها في حاجة للتربية ، فالعلاقة أذن بين القيم والتربية علاقة تبادلية ، فمن دون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها ، ومن دون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة .

وتنبثق أهمية القيم في التربية من خلال أهمية التربية المقصودة ودورها في إحداث تغيرات قيمية مرغوبة لدى الأفراد في المجتمع ، فالتربية المقصودة تعد عملية اجتماعية يخضع فيها الأفراد لتأثيرات بيئية مختارة ومسيطر عليها وبصورة خاصة البيئة المدرسية ، لكي يكتسب أولئك الأفراد أقصى ما يمكن من نمو فردي وكفاءة اجتماعية (مسعود، ١٩٩٩: ٤١-٤٢) .

وان الوسيلة الناجمة لحل أية مسألة اجتماعية من مسائل التربية هي تصدر دوما عن نظره شاملة وموقف كامل ، وتشمل هذه الحلول في مضمونها تطوير وتغيير القيم ، وتنتشر في جميع جنبات التعليم بانتشار الجهاز العصبي في

جسم الإنسان (سليمان ، ١٩٧٥: ٤٠) وان لا تربية من دون مجتمع وتراث اجتماعي ، وان المجتمع بقيمه وتجربته وتراثه ينقل الفرد من مستوى الحياة الحيوانية الغريزية إلى مستوى الحضارة والحياة الإنسانية ، وان التربية لا تكون تربية حقه اذا كانت مجرد تربية اجتماعية ، هدفها ربط الفرد بعادات مجتمعة وتراثه وقيمه وآماله ، فالتربية الاجتماعية المحضة لابد ان تكون تربية محافظة ، اتباعية لا إبداعية ، ولابد ان تكون تربية إلزامية قائمة على السلطة والتلقين والتأديب والأمر ، وكثيرا ما يكون هدفها ان تكون لدى الناشئ ، عن عناصر ومؤثرات خارجة عن وعيه ،ولا يرقى الفرد إلى الوجود الإنساني الحق ولا يغدو قادرا على تطوير قيمة الإنسانية وعلى تطوير مجتمعه الا اذا انتزع نفسه بمعنى من المعاني من المجتمع ، والا اذا اصبح في النهاية سيد نفسه وأفكاره ، والا اذا غدا في خاتمه المطاف من هو أي ما يصبو إلى ان يكون (عبد الدايم، ١٩٧٧: ١٧) لقد ظهر مفهوم التربية الأخلاقية تعبيراً عن الوظيفة الخلقية والقيمية للتربية واكتسبت هذه التربية ، معان عديدة تبعا للمصادر والفلسفات التي استندت اليها ، والتربية الأخلاقية في معناها الواسع ، انما هي تربية القيم . أيا كان مصدرها وتطوير وإنضاج النظام الأخلاقي المعنوي في شخصيات الافراد ومن نافلة القول ان مفهوم الأخلاق نفسه يستند إلى أسس فلسفية ونفسية واجتماعية والقيم ايا كان مصدرها هي في التحليل النهائي موضوعات ذات طبيعة أخلاقية ، أي تتسم بطابع معياري يشكل العلاقات الإنسانية بين بني البشر(عبد الدايم ، ١٩٧٤: ٢٢٣) .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا بصورة قاطعة لا تقبل الشك ما للقيم من أهمية بالغة بالنسبة لتربية الأفراد والجماعات في المجتمع ، لأنها تتصل اتصالا مباشرا بالأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها . وللقيم وظائف متكاملة تنعكس إيجابيا على الفرد اذ تساهم في بناء الشخصية السوية القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وتحقيق أهداف العملية التربوية فيه ، ويبدو اثر القيم واضحا في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي تسوده علاقات سليمة في كل جوانب الحياة . وقد كشفت الدراسات على اهمية القيم في توفير البيئة التربوية المناسبة التي

تحقق المزيد من فهم التلاميذ واستيعابهم والتفاعل الجيد بين المعلم والتلاميذ(حسان وأخرون ١٩٨٩ : ٢٤٢) .

ان القيم تشكل عنصرا حيويا في بناء العملية التربوية ، فان التربية في مجملها تدور حول عملية أساسية ، وهي تشكيل الشخصية السوية المتضافرة في جوانبها الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية ، وهذا يتم من خلال إكساب هذه الشخصية عددا من القيم الأساسية الوظيفية التي تضفي عليها صلاحها الأخلاقي ومن هذه القيم حب التقوى واحترام الذات والصدق والصبر والعفة وهذه القيم يسعى الإنسان إليها في كل زمان ومكان والقيم في الوقت نفسه قيد وضابط وقاعدة تنظم التعامل والتواصل بين الناس وهي وسيلة تربوية وثقافية أساسية .

وتقديرا لدور القيم في تدعيم العملية التربوية وتحقيق أهدافها وفي مقدمتها بناء الشخصية المتوازنة ، اذ حث علماء التربية طلبة العلم على الالتزام والتمسك بالقيم التربوية والأخلاقية والإنسانية والروحية ، وهي قيم تنظم علاقة الفرد بخالقه .

وتأسيسا على ما تقدم آنفا ، ينبغي ان تتركز التربية من الناحية القيمية على النواحي الأتية :

١ـ تكوين توجه سلبي نحو القيم المستهدف تعديلها حتى تهوي على السلم القيمي للمجتمع ، وتفقد وظائفها الاجتماعية وتتحول إلى مجرد اهداف هامشية .

٢ـ تكوين توجه إيجابي نحو القيم المستهدفة وتقنين وظائفها الاجتماعية فتصعد على السلم القيمي .

٣ـ العناية بالتوجه نحو القيم القديمة التي لم تفقد وظيفتها الاجتماعية بعد ، وفقا للنظام الجديد ، والعمل على تدرجها في السلم القيمي وفقا لمكانتها بين القيم المختلفة (هلال ، ١٩٨٧: ٩٤-٢٢٦) .

وتؤثر قيم المجتمع على المستقبل المهني للفرد ، فالمستقبل المهني للفرد لا يعتمد فقط على استعداده للعمل وانما على المجتمع الذي يعمل فيه والتوجهات السائدة فيه . لذلك اصبح من الضروري ان نتساءل عن القيم الأخلاقية التي يحتاج المجتمع لتحقيق النمو لنفسه .

وهناك مجموعة من الوسائل التي يمكن ان تستخدمها الأسرة في تنمية وتطوير القيم الأخلاقية لدى أبناءهم ومن هذه الوسائل :

١. تنصيب أنفسهم قدوات تحاكي السلوك الأخلاقي . وان اكثر القدوات تأثيرا في سلوك الأبناء هم الآباء حيث يقف سلوك الأبوين كمصدر أساسي ومن خلال مراقبة سلوكهم ليتعلم الطفل كيف يعد سلوكه ومن فوائد الاقتداء أيضا انه يكشف للأبناء على مدى تمسك الآباء بالقواعد السلوكية التي حددتها الثقافة والقواعد المحبوبة . وهذا من شانه ان يشجع الأبناء على تمثل هذه القواعد .

٢. إتاحة معلومات دقيقة للطفل عن سلوكه .

٣. إتاحة معلومات عن النتائج الآجلة المترتبة على السلوك ويقصد به ان الأطفال مع ازدياد العمر الزمني في تعليم النتائج المترتبة على سلوكهم وبخاصة المباشرة منها (الفورية) ويعد تعلمهم للنتائج المباشرة المترتبة على سلوكهم أسرع كثيرا من تعلمهم النتائج الآجلة . ومن هنا تقع مسؤولية كبرى على الآباء من حيث تعليم أبنائهم هذه النتائج (حسين، ١٩٨٧: ٤٤).

القيم والطبيعة الإنسانية :

ان الطبيعة الإنسانية هي نتائج للمقومات الحضارية وأثرها ، والحضارة هي نتاج نشاط الأفراد ، وحصيلة تفاعلهم مع الحياة ، واي فهم للطبيعة الإنسانية إنما يرتبط بأنواع الحركات الاجتماعية السائدة من ناحيتين :

أولهما: ان هذا الفهم ان هو الا نتيجة تنظيم فكري يعطي هذه الحركات سندا ودعامة.

والأخرى: ان الحركة الاجتماعية نفسها تظهر من جوانب الطاقات في الطبيعة الإنسانية ما كان خامدا في الأوضاع القديمة (حامد ، ١٩٦٨: ١٦٨) وقد حاولت المدارس الفلسفية ان تدرس الطبيعة الإنسانية كل حسب أساسها الفلسفي فمنها من أكد على الجانب المادي فقط ومنها من أكد على الجانب الروحي ومنها من أكد على الجوانب الروحية والمادية معا والباحث يتفق مع امتزاج الطبيعة الإنسانية من جسد وروح ، اذ بامتزاج هذين العنصرين تتحقق الحياة وان لكل من هذين العنصرين صفات تختلف عن الأخرى وهذا ليس بالشيء الغريب فلدينا أدلة كثيرة منها الماء مثلا يتركب من اتحاد ذرتين هيدروجين وذرة أوكسجين ، وعلى الرغم من ان الماء في شكله وخصائصه العامة مختلف عن مجموع خصائص هاتين المادتين ، ولو حللنا الماء إلى مادتين يفقد طبيعته ولا يبقى هناك ماء .

وكذلك طبيعة الإنسان مركبة من المادة والروح معا ، ولهذا نجد فيها دوافع فطرية بعضها مادي وبعضها روحي ومعنوي ، وبعضها الثالث مختلف عن هذا وذاك وهو خاصية الإنسان ناتج عن ذلك التركيب الخاص وبه يمتاز الإنسان عن الكائنات الحية الأولى ولذلك يقول الكسيس **(ان الإنسان كل لا يتجزأ شديد التعقيد ومن المستحيل إيجاد فكرة مبسطة عنه ، فالإنسان الذي يعرفه الأخصائيون ليس الإنسان المحسوس او الإنسان الحقيقي انما هو رسم تخطيطي يتكون من التخطيطات التي تكون الأنسجة البدنية وأمزجة الجسم ، انه المجتمع الهائل من الخلايا المجموعة من الأعضاء والشعور وهو إلى جانب هذا الشاعر والبطل والقديس انه ليس فقط الكائن المعقد اشد التعقيد الذي يحلله العلماء بوسائلهم الفنية الخاصة بل هو ايضا جماع ميول البشر وتهيؤاتهم ورغباتهم)**(كارل ،١٩٨٣: ٢١).

والإنسان في طبيعته وسلوكه مشكلة الوجود ، ولغز الحياة الغامض فهو ليس بملك خالص الطهر والنقاء ولا هو بشيطان جوهره الخبيث ولا هو باله يحكم ويدبر ولا هو بحيوان يخضع ويسخر ، انه مشكلة اكثر الكائنات شقاء وأعمقها ألما وأرهفها حساسية ، ولعل السر في شقاء الإنسان انه لا يستطيع ان يبلغ مرحلة الاتزان المطلق(محروس،؟ ١٩٨٨: ٩).

ان الوقوف على أبعاد الطبيعة الإنسانية ومعرفة منطلقاتها ومحددات سلوكها هو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي ، واختلاف النظريات التربوية انما يعزى أساسا إلى اختلاف الفهم للطبيعة الإنسانية واختلاف الوقوف على أبعادها .وعندما اراد أفلاطون ان يؤسس نظريته التربوية اتخذ من نظرته للطبيعة الإنسانية بجوانبها المختلفة أساسا لذلك ، فجاء فكره التربوي صدى وانعكاسا لنظرته للإنسان وفهمه للطبيعة الإنسانية وهكذا كل الفلسفات الأخرى التي جاءت بعد أفلاطون إلى يومنا هذا عندما تضع نظريتها التربوية فإنها اتخذت من نظرتها للإنسان أساسا لذلك ولذلك يمكن القول بان التنظير التربوي يقوم أساسا على الفهم للطبيعة الإنسانية ، فالإنسان هو مادة التربية متعلما ومعلما(محروس، ١٩٨٨: ٩) .

وأهمية دراسة الطبيعة الإنسانية ضروري لتكوين أساس فلسفي للتربية وبهذا الصدد يقول فينكس **(وحيث ان التربية هي عملية توجيه ونمو الأفراد فان طبيعة الفرد تصبح مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفلسفة التربية)** (فينكس، ١٩٦٥: ٦٩٧) . ويستطرد فينكس ليوصي بان **(المفهوم المتميز للتربية يتوقف على معنى الطبيعة الخاصة بالفرد الإنساني)**(فينكس، ١٩٦٥: ٦٩٨) .

ولقد قام الإنسان ومنذ بدء الخليقة ، بكثير من المحاولات للتعرف على طبيعته وكشف أسرارها ومعرفة كنهها وإزالة الغموض عنها ، ولذلك شغلت الطبيعة الإنسانية الباحثين والمفكرين في مختلف العصور والأزمان ، ولا يوجد فيلسوف الا وقد اهتم بدراسة الطبيعة الإنسانية وتحليلها وكانت له آراء وأفكار بشأنها ، وشغلت الطبيعة الإنسانية المربين لان فهم الطبيعة الإنسانية ووضوحها يساعدهم على التعرف على أسس عملية التربية والتعليم ، ولان الوقوف على أبعاد الطبيعة الإنسانية وفهمها وهو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي (فينكس، ١٩٦٥: ٦٩٨) .

وكما أوضحنا آنفا بان المصدر الأساسي للقيم عند الأفراد هو ثقافة المجتمع الذي ينشئون ويعيشون فيه ، ومصدرهم القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما وهو تاريخ الجماعة وتراثها التاريخي الذي نقله عن طريق التنشئة من جيل

إلى جيل فالتنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية عرضا ، أي في الجيل الواحد، وطولا ، أي تتابع الأجيال ، كما انها تسهم في تعديل وتطوير ما يحتاج منها إلى تعديل وتطوير .

وعن طريق التنشئة ، يكتسب الطفل القيم الأساسية والدعامات الأولى اللازمة لبناء ذاته وشخصيته وتحديده دوره في محيط الأسرة . وتمثل الأسرة من ناحية ثقافة المجتمع بصفة عامة وتميل من ناحية أخرى الثقافة الفرعية التي ينتمي اليها بصفة خاصة (نجيب، د،ت: ١٥٨).

ان تشكيل القيم واستقرارها عند الإنسان يأتي من خلال قدرته وقابليته على الفهم الواضح للحقائق المتصلة بالأمور والمسائل الوجودية سواء الطبيعية منها ام ما وراء الطبيعة وعلى مدى استفادة الإنسان من القيم الحقيقية التي تشكل الانطلاق لمسيرته في الحياة الدنيا .

وان القيم تهيئ للإنسان خيارات معينة ، فتكون لديه القدرة على الاختيار والاستجابة لموقف معين ، وانها تمنح الإنسان إمكانية تنفيذ ما هو مطلوب منه ، لذلك فالقيم تجعله اقدر واكثر تماسكا وصبرا على التكييف وتحقق للإنسان الشعور بالإفادة لأنها تمنحه القوة والصلابة على مواجهة ضعف النفس ، والقيم كذلك تدفع الإنسان لتطوير وتحسين وتهذيب أفكاره ومعتقداته وتساعده على فهم الآخرين من خلال توسيع إطاره المرجعي في فهم علاقاتهم معهم وانها تساعده على تقويم الفرد وإصلاحه أخلاقيا وفكريا واجتماعيا ونفسيا(حسان ، ١٩٨٩: ١٠٣) .

ان القيم بالنسبة للإنسان وسيلة علاجية ووقائية تساعده على ضبط نزواته وشهواته وتعمل الأسرة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية على إكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها ، وعلى هذا الأساس فان الأسرة قد تعمد على أساليب الثواب والعقاب في تنشئة الطفل وذلك بإثابته على حسن سلوكه وبعقابه على سوء سلوكه ، فتدعم الأسرة بهذه الأساليب السلوك الذي يتماشى مع القيم الأساسية التي تدين بها ، وتمنح السلوك الذي يتعارض معها ، وفوق ذلك فهي تستعمل الأساليب اللفظية ، التي تساعد الطفل على ان يتبنى الاتجاهات والقيم التي تمكنه تدريجيا من ان يسلك السلوك المرغوب فيه من تلقاء نفسه إلى ان يصل إلى المستوى الذي يستطيع فيه ان يضبط نفسه دون حاجة إلى توجيه خارجي(حسان ، ١٩٨٩: ٢٤١).

وللقيم وظائف متكاملة تنعكس إيجابيا على الفرد اذ تساهم في بناء الشخصية السوية القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وتحقيق أهداف العملية التنموية فيه والتي تستطيع التكيف مع متغيرات الحياة الثقافية والاجتماعية بطريقة صحيحة ، ويبدو اثر القيم واضحا في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي تسوده علاقات سليمة ليس فقط في مجال التعليم بل في جميع مجالات الحياة (الزنتاني، ١٩٩٣: ٢١) .

ويحاول الإنسان ان يضفي على الطبيعة وعلى نفسه بعض الافتراضات والاعتقادات وبعض أنماط السلوك والعلاقات الإنسانية والتي من خلالها يحاول خلق طريقة إنسانية للحياة في مكان الوجود العضوي للإنسان ، فمن اجل الاستمرارية والبقاء ، يحاول الإنسان ان يكون بعض الافتراضات الخاصة بالكون ، كيف يعمل ؟ وأين مركز القوى الذي يتحكم في الحوادث والأشخاص ؟ كما يحاول الإنسان أيضا ان يدرك مكانه في الطبيعة ،كيف خلق ؟وما هو مصيره ؟ وما هي علاقته فرداً مع أقرانه في الجماعة الإنسانية ؟ باختصار يحاول الإنسان ان يطور مفهوما عن الطبيعة الإنسانية ،وتصورا عن ذاته من اجل ان ينظم ويوجه سلوكه طبقا لهذا ولاشك ان هذه التصورات والمفاهيم تختلف وتتنوع حسب

الثقافات المختلفة (محمد وآخرون ، : ٣١٠-٣١١)ان الشخصية الإنسانية ليست مجرد وعاء يتم ملئه بما يراه البعض من معارف وقيم او مجرد صفحه بيضاء يخط عليها الكبار ما يرونه ملائما من وجهة نظرهم ، ليس الأمر يمثل هذه الحتمية او الخير بل ان ثمة حرية للإرادة الإنسانية في الاختيار من بين القيم (مدكور، ١٩٩١: ٧٤) وفي عالم القيم الإنسان قيمه سامية ، هو حر ومسؤول يتميز بمقدار ما يلزم ببناء شخصيته وتحمل مسؤولياته الجماعية ، بكل صدق واستقامة انه إنسان بمقدار ما يحترم الآخر أنساناً ويتفاعل معه ويعد الحرية فعل تحرر دائم وتحرير دائم في سبيل تدعيم الكيان الذاتي والمجتمعي من هنا فان المجتمع القيمي الأصيل هو الذي يحترم الإنسان ، ويحافظ على شخصه وكرامته وحرياته من دون اعتبار لجنسه او لونه او عنصره او طائفته او مذهبه او وضعه الاجتماعي والاقتصادي (انطوان، ١٩٩٩: ٥).

والقيم هي الموجهات للسلوك ولذلك فهي عظيمة الدلالة من الوجهة التربوية لأنه يترتب على ذلك سعي المربين لترسيخ قواعد أخلاقية لحياتنا الاجتماعية وتقدير التفاعلات البشرية التي تجري في المجتمع (حسان وآخرون، ١٩٨٩: ٢٥٤).

والقيم أداة النقد الاجتماعي ، فالقيم بوصفها مثل عليا ونماذج معيارية تدفع الأفراد إلى تطوير حياتهم الشخصية في اتجاهها وكذا المجتمع اذ الوظيفة النقدية للقيم في منتهى الأهمية ، ذلك ان القيم فيما تحمله من تطلعات وغايات نبيلة ، وبما تنطوي عليه من قواعد ومعايير أخلاقية ، انما تستثير همة الأفراد فيتخلون عن عادات وسلوكيات هابطة ويدفعون في طريق قويم آخر طريق القيم(حسان وآخرون، ١٩٨٩: ٢٥٧) .

ان المجتمع الإنساني في حقيقة الأمر بمثابة (بناء حضاري) يعكس حياة معنوية يتمثل لها الأفراد وتتميز بالقوة والأصالة وذلك لان المجتمع يتمثل في نظام من الأعضاء والوظائف يميل إلى الاحتفاظ بنفسه بعيدا عن عوامل الهدم التي تهدده من الداخل او الخارج ولهذا يميل الأفراد إلى إدراك هذا الاتصال بوصفه تعبيرا عن الروابط المتقاربة حتى يتيح ذلك لمشاعرهم ان يؤثر بعضها في البعض الآخر تأثيرا إيجابيا، وان بعض المفكرين ذهبوا إلى ان للإنسان ملكة خاصة يتجاوز عملها مجال التجربة ، هذه الملكة في وسعها ان تتصور أمرا آخر غير ما هو كائن ، أي ان من شانها إدراك المثل العليا وبناء على ذلك فان قيم الأشياء يتعلق تقديرها بالمثل المدركة ولذلك فان للأشياء قيمة حين تعبر عن مظهر من مظاهر المثل العليا ، وكذلك تعلو قيمتها او تنخفض وفقا للمثال الذي تعبر عنه من جهة ، وطبقا لما تستوعبه هي نفسها من معناه وتعكسه من جهة أخرى(محمد وآخرون،١٩٩٠ :٣٤٢).